الفصل الرابع

الكتابة المستترة والكذب الأبيض

"بينما تبرهن دوما الرذيلة في تحررها من العقل أنّها حقيقة مخزية، فإنّها في الوقت نفسه؛ تؤكد أنها من أكثر الحقائق؛ التي لا يرقى إليها الشكّ في التاريخ".

ويليم إدوارد ليكي[1]

[1] - ويليم إدوارد هارتبولي ليكي William Edward Hartpole Lecky (1838 – 1903م) مؤرخ إيرلندي ومنظر سياسي، من مؤلفاته: **تاريخ إنجلترا في القرن الثامن عشر**، 1878م، **تاريخ الأخلاق الأوروبية من أوغسطين إلى شارلمان**، 1869م، **الديمقراطية والحرية**، 1896م. انظر الموسوعة البريطانية:
www.britannica.com/biography/william-edward-hartpole.lecky

الفصل الرابع
الكتابة المستترة والكذب الأبيض

تمهيد

تأثر شتراوس، كما اتضح في الفصول السابقة، على نحو كبير بالفكر الكلاسيكي، لا سيّما بفكر سقراط وأفلاطون الفلسفيّ، ولعلّ تجربة **إعدام سقراط** من أكثر الدروس؛ التي تعلم منها شتراوس خطورة **الكتابة الصريحة** exoteric في مقابل الكتابة **المستترة** esoteri، التي تحمل مفاهيم عن إضمار المقاصد في سياق الكتابة، وعن الاضطهاد، وفن الكتابة ما بين الفلسفة والمدينة، فضلًا عن فلسفة الكذب الأبيض وسياسة الخارجية الأمريكية المعاصرة من حيث مدى تأثير فكر شتراوس وأتباعه على صناع القرار فيها.

أولًا- مفاهيم وتعريفات

مفهوم الكتابة المستترة

يشير **ستيفن سميث** إلى أن: "اكتشاف شتراوس للكتابة المستترة الإيزوترية esoteric يعود إلى الثلاثينيات من القرن العشرين"[1]، وعلى وجه التحديد، وفقا لـ **نيكولاس زينوس**، إلى 1935م، حينما نشر كتابًا عن **هوبز** وكتابًا آخر بعنوان: **الفلسفة والقانون**، ويعدّ الأخير، "الذي تناول فيه فكر ابن ميمون مايمونيديس Maimonides وعددًا من القضايا اليهودية، هو الكتاب الذي أعلن فيه اكتشافه لما أطلق عليه: الطريقة المنسية للكتابة"[2]، ويضيف أنه بينما: "وصف شتراوس ذلك بوضوح كبير في منتصف الثلاثينات، في دراسته للفارابي* وابن ميمون (مايمونيديس) فإنه نفسه لم يبدأ الكتابه بهذه الطريقة؛ حتى استقرّ في الولايات المتحدة 1938م"[3]، وتذهب شاديا دروري إلى أن أستاذ شتراوس **مارتن هيدجر** قد ترك ذلك الانطباع عن الفلسفة الباطنية لدى شتراوس، وذكرت: "أنّ لا شيء يترك أثرًا في شتراوس أكبر من ذاك الذي يتركه

---

[1]- Steven B. Smith, **Reading Leo Strauss: politics, philosophy, Judaism**. p. 163.

[2]- Nicholas Xenos, **Leo Strauss and the Rhetoric of the War on Terror**,

* سيأتي الحديث عنه لاحقا.

[3]- Nicholas Xenos

أسـلوب هيدجر في دراسـة النص، فقد أعجب كثيرًا بأسـلوب هيدجر في تحليل كتاب أرسـطو الميتافيزيقا"[1]، وذلك ما علمه بدوره لتلاميذه، وعن ذلك يقول سـتانلي روزن، أحد أشـهر تلامذة شـتراوس: "إن ما علمنا إياه هو كيف نقرأ، وكيف نفكر فيما نقرأ"[2]، وحول معنى الكتابة المسـتترة يرى تورفالد دتلفزن في كتابه **القدر بوصـفه صـدفة** أنّ المعرفة دومًا هي من شـأن الفرد أو قلة، فالضـالعون في المعرفة هم من الدائرة الداخلية لها **الإيزوتيرية Esoteros** وتعني باليونانية **الداخل** بخلاف من هم خارجها في الدائرة الخارجية Exoteros وتعني باليونانية **الخارج**"[3]، وبناء على ما سـبق، يكون هناك نوع من الكتابة للخاصّـة ونوع آخر للعامة، وفي هذا الصـدد يستشـهد ليو شـتراوس بما ذهب إليه الكاتب الألماني جوتهولد إفرايم ليسينج Gotthold Ephraim Lessing في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر من أن التمييز بين الكتابة المعلنة والكتابة المستترة كانتا موجودتين لدى الفلاسفة القدامى"[4]، ويصـفه شتراوس بأنه كان آخر الكتاب؛ الذين كشـفوا الأسـباب التي تدفع الرجال الحكماء إلى إخفاء الحقائق، لقد كتب بين السـطور حول الكتابة بين السطور.

ويلخص شـتراوس وجهة نظر **ليسـينج** في عرضـه للكتابة المعلنة تمييزًا لها عن الكتابة المستترة على النحو التالي:

---

[1]- عماد فوزي شعيبي، ليو شتراوس وتأسيس الفلسفة الباطنية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 30، العدد 1+2 – 2014م، الموقع
http://www.damascusuniversity.edu.sy/mag/human/images/stories/1-2-2014/a/481-505.pdf .854 .ص ،

[2]- Stanely Rosen, **Leo Strauss in Chicago**, Daedalus, Vol. 135, No. 3, On Body in Mind (Summer, 2006), pp. 104-11. (on), p. 107.
http://www.jstor.org/stable/20028058?seq=1&Search=yes&resultItemClick=true&searchText=au%3A&searchText=%22STANLEY+ROSEN%22&searchUri=%2Faction%2FdoBasicSearch%3FQuery%3Dau%253A%2522STANLEY%2BROSEN%2522%26amp%3Bwc%3Don%26amp%3Bfc%3Don#page_scan_tab_contents

[3]- عماد فوزي شعيبي، مرجع سابق ،ص. 486، انظر
http://www.damascusuniversity.edu.sy/mag/human/images/stories/1-2-2014/a/481-505.pdf

[4]- Leo Strauss, **the rebirth of classical political rationalism**, p. 64.

1- يؤكد ليسينج أن كل الفلاسفة القدامي، استخدموا الأسلوب المعلن للحقيقة، المختلف عن الأسلوب المستتر.
2- يعتمد الأسلوب المُعلن للحقيقة على الإدلاء بتصريحات يعدّها الفيلسوف نفسه مجرد تصريحات، وليست حقائق.
3- إنّ التصريحات المُعلنة الكاشفة (غير السرّية) يقدمها الفيلسوف لأسباب غير الحرص والحيطة.
4- بعض التصريحات المُعلنة يتمّ توجيهها للناس الوضيعين أخلاقيًّا، ممن ينبغي أن ينتابهم الخوف جرّاء تلك التصريحات.
5- هناك حقائق محددة يجب إخفائها.
6- الدساتير السياسيّة غير مكتملة، بل هي تتجدد وتتغير موادّها مع التغيرات الحاصلة بالمجتمع.
7- الحياة النظرية تعلو على الحياة العملية أو السياسية"[1].

ويعلق شتراوس هنا، أنّ هذا التلخيص، يفيد بأن هناك: "اتصالًا وثيقًا بين الاتجاه المعلن للكتابة exotericism والاتجاه الخاص للكتابة esotericism بالحياة العملية والسياسية"[2]، ويشير في موضع آخر أن هناك: "من الفلاسفة والكتاب ممن أظهروا أمرًا معيّنًا، وهم يضمرون أمرًا آخر"[3]، ويضرب مثالا بالفيلسوف ابن رشد Averroes فيقول: "حتى منتصف القرن العشرين، كان يُعتقد أنّ ابن رشد معاديًّا لكلّ الأديان، وعقب الهجوم الناجح لـ **رينان** Renan[4] على خرافات العصور الوسطى، يعتبر مفكري اليوم ابن رشد مسلمًا وفيًّا"[5]، بل هناك من يعدّه إيمانيًّا لدرجة التُقى.

ولعلّ مثال شتراوس السابق يشوبه القصور والغموض؛ فليس من الواضح أن المقصود به هو أن ابن رشد نفسه قد استخدم الطريقة المستترة والمعلنة معًا في الكتابة،

---

[1]- Ibid p. 66

[2]- Leo Straus, the rebirth of classical political rationalism, p. 66

[3]- Leo Strauss, Persecution and the art of writing, p. 33.

[4]- يقصد شتراوس بذلك التناول النقديّ الذي قام به المستشرق والمؤرخ وعالم اللغة الفرنسي "إرنست رينان" Ernest Renan حينما أصدر كتابه "ابن رشد والرشدية" 1852م، وفيه أنكر أن ابن رشد قدم ما يسمى بـ: "الفلسفة" بل وأنكر أن تكون هناك فلسفة عربية من أساسه، وقد عُرف عن هذا المستشرق عدائه الشديد للحضارة العربية والإسلامية. انظر:
Harold W. Wardman, Ernest Renan, (on) Encyclopedia Britannica, http://www.britannica.com/biography/Ernest-Renan

[5]- Leo Strauss, persecution and the art of writing, p. 17

أما أن المقصود هو أن تفسير الفلاسفة والمفكرين أنفسهم لفكر ابن رشد قد تباين عبر السنين؛ حيث أُعتبر في زمانه ملحدًا، ثم يُنظر إليه - الآن - على أنّه تقيًّا! وإنْ كان التفسير الأخير هو الأرجح، فإن استخدامه من قبل الفيلسوف كمثال لا يتصل كثيرًا بسياق حديثه عن الكتابة المستترة.

وفي الوقت الذي ذهب فيه **ليسينج** إلى أن الكتابة المُعلنة يتم فيها مخاطبة الوضيعين أخلاقيا؛ فإنّ شتراوس أكّد أن الكتابة المستترة يتم عن طريقها مخاطبة القراء الأذكياء فقط، فيقول: "لا يخاطب ذلك الأدب (الكتابة المستترة) كلّ القراء، وإنما القراء الأذكياء فقط، ذوو الأهلية الكفوءة"[1]، وعلى الرغم من ذلك، يؤكد **نيكولاس زينوس** أنّه وإن كانت الكتابة المستترة تستهدف فئة معينة فقط من القراء، فإن النص على إجماله كُتب لأنواع مختلفة من الجماهير معا في وقت واحد"[2]، ويفسر شتراوس موقفه من ضرورة تبنّي الفلسفة الكتابة المستترة أسلوبًا، دون أن يعترف صراحة بأنه فعلًا يتبناها، فيقول: "فقط حينما تتبنى الفلسفة قناع حرية التعبير العامة يمكنها أن تحقّق وتنجز وظيفتها العليا، وبالتحديد تجنيد فلاسفة جدد مرتقبين، علاوة على ما تعده الكتابة المستترة من أداة تربوية، فمثل أيّ مدرس (أو لاعب بوكر) محترف، لا يجعل المرء يده مكشوفة دفعة واحدة، ولذا يستند المرء تدريجيا إلى كفاءة اللاعب وبالمثل كفاءة اليد، وهذا هو المعنى الحقيقي للفلسفة السياسية؛ هدفها هو: "أن تقود المواطنين الأكفاء، أو بالأحرى أبناءهم المؤهلين، من الحياة السياسية إلى الحياة الفلسفية، ومثل هذا النشاط سيعد مفسدًا للشباب، ولتجنب هذا الاتهام، من الضرورة تبني استراتيجية (الأوديسة) Odyssean* بداءة بالآراء المتفق عليها بشكل أعم، أو التي لها أولوية بالنسبة لنا"[3]، وتقود جدليًّا إلى تلك المبارزة عند ممارسة الحياة الفلسفية، وبهذه الطريقة، وفقط بهذه الطريقة، يظهر الفليسوف حبه لأبناء نسله.

---

[1]- Ibid, p. 25.

[2]- Nicholas Xenos,

* الأوديسة هي ملحمة شعرية يونانية وضعها هوميروس في القرن الثامن قبل الميلاد، وتتكون من 28 جزءًا، تبدأ قصة الأوديسة بعد نهاية ملحمة (الإلياذة) وتروي قصة عودة أحد أبطال الإلياذة، وهو أوديسيوس ملك إيطاكا إلى الجزيرة وإلى زوجته المخلصة، ومن المعروف عن البطل أنه صاحب فكرة حصان طروادة، انظر:
مديحة عتيق، الأدويسة: ملحمة هوميروس، مجلة منابر الثقافية الإلكترونية، انظر:
http://www.mnaabr.com/vb/showthread.php?t=5684

[3]- Leo Strauss, the persecution and the art of writing, p. 165.

الكتابة المستترة والاضطهاد

هناك العديد من الأسـباب التي أدت إلى ظهور الكتابة المسـتترة، ويتمثل أولها في تفادي الاضطهاد وعن ذلك يقول ليو شتراوس: "الاضطهاد، هو الذي منح الوجود تقنية مميزة للكتابة، ومن ثم نوع خاص من الأدب، حيث تكمن فيه الحقيقة الخطيرة حول كل الأشياء فيما بين السطور"[1] وهكذا يصبح قدر فلاسفة السياسة: "أن يصبح اتباعهم أشبه شـئ بطائفة سـرية يتعين على أعضـائها إخفاء تعاليمهم؛ عمن هم خارج الطائفة ممن يحتمل أن يكونوا مضـطهديهم في المسـتقبل"[2]، ويُرجع سـتيفن سـميث تبني شـتراوس للطريقة السرية للكتابة إلى سبب آخر: يتمثل في الحسّ بـالمسئولية الاجتماعية في دعم القيم السـائدة لمجتمع معين، ثم الرغبة في تعذيب وتشـويق القراء المرتقبين بوعد كشـف الكنز المدفون"[3]، فلا تصبح الحقائق، معلنة لأي قارئ، ولكن مقتصرة - فقط - من أجل البعض.

ويلخص **دانيال تونسيند** في دراسته: ليو شـتراوس والإسـلام، أسباب شتراوس في إخفاء المعرفة الفلسـفية عن العامة، بأن الفيلسـوف لا يود أن يؤذي الأغلبية من غير الفلاسـفة؛ الذين من المحتمل أن تكون لهم اعتقادات نافعة عملية، ولكن من المسـتحيل التحقق منها، أما السـبب الآخر، فيتعلّق بالتهديد المحتمل لأذى الفيلسـوف من قبل غير الفلاسفة"[4]، وهكذا: "كانت الكتابة المسـتترة لشـتراوس شـكلًا تتخذه الفلسـفة السـياسـية بصـفتها دفاعًا عن النفس"[5]، فيعرضـها قضـية تاريخية أو اجتماعية سوسيولوجية حول الظروف التي مورست الفلسفة السياسية في الماضي تحت وطأتها.

وفي هذا الصـدد، - وفق سـتيفن سـميث – "لا يمكن للمرء أن يقلل من التأثير الذي أحدثته أحداث الماضـي التاريخيّ القريب، مثل الألمانيّ النازيّ والحرب الباردة، على مفهوم شـتراوس للفلسفة"[6]، ووفق نيكولاس زينوس: على الرغم من اكتشـاف شتراوس للكتابة المسـتترة في عهد النازي واضـطهاده، إلا أنه "نفسـه لم يبدأ الكتابه بهذه الطريقة حتى جاء إلى الولايات المتحدة 1936م"، وهذا الأمر يثير تسـاؤلًا عن أسـباب تبني مثل

---

[1]- Leo Strauss, persecution and the art of writing, p. 25.

[2]- أنطوني دي كرسبني و كينيث مينوج ، **أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة**، ص. 15.

[3]- Steven B. Smith**, Why Strauss, Why Now?**

[4]- Daniel Townsend, **Leo Strauss and Islam.**

[5]- Steven Smith**, Reading Leo Strauss: politics, philosophy, Judaism**. p. 163.

[6]- Ibid. p. 164.

هذا النوع من الكتابة السرية في مجتمع مفتوح، ويجيب نيكولاس زينوس، أنّ شتراوس حينما جاء إلى الولايات المتحدة كان عليه أن يتخذ الأمور بحرص أكبر، وذلك لأنّه لم يتوقف بنقده على المجتمعات الديمقراطية الليبرالية، ولكن امتد لأمور عدة يسبر أغوارها بكلمات أخرى، لقد كان أكثر رجعية عما يذهب إليه النقاد المعاصرون"[1]، ويشير إلى أن الاضطهاد يشمل عددًا كبيرًا من الظواهر، فهو: "يتراوح بين أشدّ الأنواع قسوة، متجسدة في محاكم التفتيش الأسبانية، إلى الأخفّ شكلًا، الذي يتمثل في الاستبعاد الاجتماعي، وبين هذين الجانبين المتطرفين، تقع الأنواع الأكثر أهمية من وجهة نظر التاريخ المحض أو التاريخ الفكري"[2]، "فالفكر السياسي منذ عصر سقراط إلى عصر تروتسكي كان يصاحبه دائما خطر الموت والاضطهاد"[3]، ويصف ستيفن سميث "إعادة كشف شتراوس للتقليد السري – الكتابة السرية- بأنه أمر، على نحو خطير، مثير للجدل، ويفسر ذلك في المقام الأول، بان يتصاعد السؤال عن كيف نعرف حالما يكتب المؤلف بطريقة يخفي فيها عمدًا أو يضفي غموضا على تعاليمه، و بالفعل هناك، على سبيل المثال، عدم اتفاق كبير حول إذا ما كان دمج ديكارت الله في نظامه كان حيلة استراتيجية أم كان تعبيرًا عبقريًّا عن معتقداته الدينية، ويمكن أن يسأل المرء نفس الأسئلة عن حشد من المفكرين، فمثلًا: هل كتب موسى بن ميمون لتأكيد أو تقويض الاعتقاد في أولية البعث؟ هل كتب ميكيافلي لنصح أم لتضليل الأمير؟ هل نظرية لوك عن الحقوق الطبيعية، حجر الزواية الأساسي لإعلان الاستقلال الأمريكي، وتتضمن على نحو سري اتجاه مادي ملحد؟"[4]، ويجيب **سميث** بأن الإجابة عن هذه الأسئلة ليست واضحة بذاتها، ويتضح ذلك مما قاله ديكارت حول نفسه بإنه" كان يكتب متخذا من مصير جاليليو مثالا فيما يتعلق بالتحقيق الذي أثر وبشدة في ذهنه"[5]، ونحن نعلم من السير الحديثة الخاصة، مثل **بلوك** أنّه كتب تحت إشراف دائم؛ لدرجة أن رئيس جامعته أوكسفورد أشار إليه بأنه أستاذ الرمز وقلة الكلام.

فن الكتابة المستترة بين الفلسفة والمدينة

ميّز شتراوس بين **الرأي** و**الحقيقة**، وتوصّل إلى نتيجة ذكرها على شكل قياس منطقيّ، فالفلسفة هي محاولة استبدال الرأي بالمعرفة، وهو ما يفضي إلى عنصر

---

[1]- Ibid.

[2]- Leo Strauss, **persecution and the art of writing**, p. 23-33.

[3]- أنطوني دي كرسبني وآخر، **أعلام الفلسفة السياسية**، ص. 15.

[4]- Steven Smith, **why Strauss, why now?**

[5]- Ibid.

المدينة، ومن ثمَّ عدّ الفلسفة مدمرة، إذا لم تتطور طريقة كتابتها؛ إذ: "يجب أن يخفي الفيلسوف ما يفعله بالفعل"[1]، ويوهم جمهور القرّاء بضرورة البناء بدلًا من الهدم.

وقد اتبع ذلك النهج، وفقا لشتراوس، فلاسفة ما قبل العصر الحديث أو ما قبل التنوير؛ حيث أدركوا: "أن الفلسفة **مدمرة**؛ لأنّها تقوم على التشكيك، ثمّ التقويض جزئيًّا، للاتجاهات والمعتقدات والقيم السائدة، أمّا فلاسفة ما قبل عصر التنوير؛ فلم يروا الفلسفة مقوّضة، بل يجب ألّا تفضي إلّا إلى الصالح العام، وقد جعل هؤلاء الفلاسفة كتاباتهم وخطبهم الشعبية معتدلة"[2] ولذلك آمن هؤلاء بإقصاء بعض أشكال المعرفة عن الأغلبية، من دون هدم أركانها.

وبهذا يكون دور الفلاسفة أن يقنعوا المدينة (أهل المدينة) بأنهم ليسوا مدمّرين، ولعلّ موسى بن ميمون Maimonides وغيره من الفلاسفة يكتبون - على الأقل - لنوعين مختلفين من الجماهير: "الأوّل من الجماهير يطلق عليهم المعنى المعلن *exoteric* للنصوص، المعلم، ذو المستوى السطحي، بينما لجمهور آخر يوجّهون المعنى الخفيّ السريّ esoteric المتغلغل داخل النص، الذي يستطيع استكشافه فقط بعض الناس"[3]، ولعلّ اكتشاف هذا؛ هو ما قالت عنه ابنة شتراوس؛ سيظل دومًا إسهامه الباقي في الفلسفة.

وهكذا يجب أن تستمر الفلسفة أو العلم مختصّين بالأقلية، ويجب أن يحترم الفلاسفة والعلماء الآراء التي يستند عليها المجتمع، وأن تحترم الآراء هو أمر مختلف تمامًا عن أن تتقبّلهم بصفتها حقيقة، ومن ثمَّ فإنّ الفلاسفة أو العلماء الذين يتبنون وجهة النظر هذه حول علاقة الفلسفة أو العلم بالمجتمع مهيئون؛ لتوظيف أسلوب خاص في الكتابة يمكنهم من أن يكشفوا عما يعتبرونه حقيقة للأقلية"[4]، ولكن من دون المساس بالالتزام غير المشروط للأكثرية حول الآراء التي يستند إليها المجتمع.

وفضلًا عن تجنب الاضطهاد، أو ما يُطلق عليه شتراوس "حماية النفس من الفلسفة"[5] بصفته سببًا أوضح للكتابة المستترة، كما سبق الإشارة إليه، فهناك أيضًا بعدًا

---

[1]- Nicholas Xenos, **Leo Strauss and the Rhetoric of the War on Terror**,

[2]- Danial Townsend., **Leo Strauss and Islam**, p. 20.

[3]- Nicholas Xenos**, Leo Strauss and the Rhetoric of the war on Iraq**.

[4]- Steven Smith, Reading Leo Strauss. p. 163.

[5]- Ibid, p. 165.

يصفه ستيفن سميث بأنه **بعدًا إنسانيا** وهو ذلك الذي يعتبر "حرية التصرف شكلًا أعلى للإلزام الاجتماعي، وعلى الفلاسفة واجب أن لا يحقّروا الرأي الرشيد؛ الذي يُبنَى عليه المجتمع، وقد كتب شتراوس أنّ: "التعليم السياسيّ الذي يوجّه بشكل متساوٍ إلى الرجال المهذبين وغير المهذبين سيبدو للقدامى أنّه من الخارج على أنه ليس سياسيًّا"[1]، وهذا ما يخلو من المسئولية السياسية والاجتماعية.

بالإضافة إلى ما سبق، يعدّ الصراع الأبديّ بين الفلسفة والمدينة أحد أوجه أسباب تمسّك شتراوس بالكتابة المستترة، فبالنسبة له يعد البحث الذي ينظر إلى الغايات الإنسانية، إلى مسألة الخير، هو نشاط مدمر لخير المدينة، وبمصطلحاته، تكون المدينة، ويجب أن تكون مغلقة، إذ: "يوجد صراع لا يمكن حلّه بين الفيلسوف - النوع الأعلى للإنسان الذي يعيش بانفتاح للطبيعة على إجمالها - مع المدينة، التي بحكم الفطرة يجب أن تكون مغلقة على الطبيعة بإجمالها"[2]، ويكمن الصراع بين الفيلسوف والمدينة في قلب فكر شتراوس، وفي قلب قراءاته لأفلاطون، وبالنسبة لشتراوس لا يعدُّ الجدل / الحوار الأفلاطوني ميتافيزيقيًّا، ولكن ظاهرة سيكولوجية وعلمًا اجتماعيًّا للعلاقة بين الفيلسوف والمدينة.

ويشير ستيفن سميث إلى أنّ هناك جدالًا مهمًّا حول مصادر استعادة شتراوس للتقليد السرّي للكتابة، "هل يرجع مصدره إلى الاستخدام البارع لأفلاطون للحوار السقراطي؛ لينقل معان متنوعة إلى قراء مختلفين دون التحدّث فعليًّا باسمه الحقيقي؟ هل كان موجودًا في قراءات موسى ابن ميمون المجازيّة لبعض فقرات التوراة؟ أو هل كان موجودا في تصور نيتشه؟ إنّ كلّ هؤلاء الذي يتميّزون بالعمق يحبّون دوما الأقنعة! لقد أحبّ شتراواس نفسه الأقنعة؛ بل اعترف في خطاب أرسله لزميله المهاجر كارل لويث Karl Löwith أنه فتن بـ نيتشه في الفترة العمرية له من 22 إلى 30 عامًا حيث إنّه آمن بكل شيءاستطاع فهمه منه"[3] ثم ينفي ستيفن سميث بأن شتراوس كان نيتشيًّا. وكما قال إن ما أحدثه فيه نيتشه من أثر تحطّم بعدما وصل إلى سن الثلاثين. ولكنه مازال يحمل معه شيئا من حبّ نيتشه لمكاشفة الآخرين ورغبته؛ في أن يختفي وراء أقنعة من صنعه الخاص"[4]، ولا يمكن لشخص أن يدعي أنه قرأ بجدية شتراوس دون أن يستحوذ عليه تقديره لذلك الحس الهائل من السخريّة الذي يغلب على أسلوبه في القراءة والكتابة.

---

[1]- Iibid, p. 165.

[2]- Neil Robertson**, LEO STRAUSS'S PLATONISM**.

[3]- Steven Smith, **why Strauss, why now?**

[4]- Ibid.

ومن الواضح أن شتراوس قد تأثر فعليًّا بآراء نيتشه، ويؤكد في هذا الصدد دانيال تاونسيد: "أنّ شتراوس يقبل إدعاء نيتشه بأن الحقائق الفلسفية مميتة"[1]، وأن شتراوس يؤمن بأن كثيرًا من الفلاسفة القدامى وضعوا قناعًا على هذه الحقائق المميتة مستخدمين الكتابة المستترة"[2] والكتاب الذي يشمل كتابة مستترة لا يتم توجيهه **للأغلبية** غير الفلسفية، فمثل تلك الأغلبية ستجد بسهولة نوعية الكتب المتضمنة للكتابة المعلنة.

ويقول شتراوس مؤكدا ذلك: "الفلسفة هي محاولة استبدال الرأي بالمعرفة؛ ولكن الرأي هو عنصر وأساس المدينة، وبناء عليه تعدّ الفلسفة هدّامة، ومن ثمّ يجب على الفيلسوف أن يكتب بالطريقة التي سيُحَسن بها أكثر البناء المجتمعيّ"[3] بدلًا من أن يهدم المدينة.

ويرى شتراوس أنه وإذا كانت الفلسفة قد استخدمت في فترات زمنية معينة من قبل الحكام لدعم نظمهم السياسية ومهاجمة خصومهم السياسيين، فإن ذلك كان وضعا وقتيا، ولكنه ما لا يعد أمرًا عارضًا أو وقتيًّا؛ فهو: "التوتر بين الفلسفة السياسية والمجتمع، فهذا التوتر على قوله " ليس بالحقيقة التاريخية أو الاجتماعية العارضة؛ ولكنه بالأحرى شرط " ضروريّ " لوجود الفلسفة كما هي عليه"[4] وهذه هيّ فكرة الانسجام العرضيّ بين الفلسفة والمجتمع؛ التي ستنهي غاية الفلسفة بصفتها نشاطًا نقديًّا.

ولكن أليس نهج إخفاء الحقائق هذا تحت مظلة "الكتابة المستترة" قد يعوّق ويحول دون وصول المعلومات كاملة إلى قارئيها، يجيب شتراوس في كتابه: **الاضطهاد وفن الكتابة**: "إنّ الكتابة المستترة لا تتعارض مع توصيل المعلومات إلى قارئها كل على قدره...، فالكتابات متاحة لكل من يستطيع القراءة، ومن ثمَّ فإن الفيلسوف الذي يختار الطريقة الثانية يمكنه أن يشرح الآراء فقط كما يبدو ملائما للأغلبية غير الفلسفية، وبذلك تكون كتاباته كلّها - بشكل مطلق - معلنة exoteric"[5]، وإنّ كانت هذه الآراء - في كل حالاتها - غير مطابقة للحقيقة، فإنّ الفيلسوف، يكون كارهًا، وتكمن كراهية الكذب في روحه أكثر من أي شيء آخر، فإنّه لن يخضع نفسه حول حقيقة أن هذه الآراء هي بشكل محض حكايا محتملة، أو أكاذيب بيضاء noble lies أو آراء محتملة، وسيترك

---

[1]- Danial Townside, **Leo Strauss and Islam**, p. 18.
[2]- Ibid, p. 19.
[3]- Steven Smith**, reading Leo Strauss**, pp. 164, 165.
[4]- Ibid, p. 165.
[5]- Leo Strauss, persecution and the art of writing, p. 35.

ذلك لقرائه الفلسفيين لحل / أو كشف حقيقة السياق الشعريّ أو الجدليّ ويضيف: "وهكذا فإن أي كتاب صريح سيتضمن تقنيتين: تدريس عام ذو سمة متسقة، وتظهر في المقدمة؛ وتدريس فلسفي يتصل بالموضوع الأكثر أهمية، والذي يأتي فقط ما بين السطور"[1]، وتتضح تقنيات هذه الكتابة في عدد من مؤلفات شتراوس وخاصة كتابه **الاضطهاد وفن الكتابة** (1952م) حيث يبيّن شتراوس، من خلال دراسته لأعمال موسى بن ميمون ويهودا اللاوي وإسبينوزا، ماهية فن الكتابة بين السطور عن طريق معرفة كيفية القرّاءة بين السطور، ويتناول الموضوع نفسه في كتابه كيفية دراسة كتاب دلالة الحائرين (لموسى بن ميمون)؛ الذي يعطي الباحثين والدارسين في هذا المجال أدوات اكتشاف ما هو كامن ومستتر في كتاب الدلالة"[2] ولعلّ دراسته حول فكر إسبينوزا ونقده للدين الصادرة 1930م بداية هذا الاتجاه.

الكتابة المستترة بين شتراوس والفارابي وأفلاطون

يثير تفضيل شتراوس الكتابة المستترة تساؤلًا حول هؤلاء؛ الذين وقع تحت تأثيرهم، ويأتي على رأس هؤلاء فلاسفة العصور الوسطى: الفارابي وموسى ابن ميمون، وفي هذا الصدد قال نيكولاس زينوس إنّ: "شتراوس كان منشغلا بموسى ابن ميمون ووصل إلى نتيجة مفادها؛ أنه حتّى يفهمه عليه أن يفهم الكتّاب؛ الذين يمت فكره بصلة بهم مما قاد شتراوس إلى الفارابي، الفيلسوف الإسلامي في العصور الوسطى"[3]، ولإيضاح عوامل التأثير، سيتم تناول نبذة عن الفارابي وفكره، ودوره، وتأثّره بأفلاطون، ثم عرض عوامل تأثر شتراوس بكليهما؛ فيما يتعلق بفن الكتابة المستترة.

---

[1]- Ibid, p. 35.

[2]- المؤلف غير معروف، عن ليو شتراوس، الموسوعة المعرفية، في:
http://www.elmessiri.com/encyclopedia/JEWISH/ENCYCLOPID/MG3/GZ2/BA11/MD10.HTM

[3]- Nicolas Xenos,

عن الفارابي وأعماله

حظيّ الفارابي بمكانة مرموقة في تاريخ الفلسفة الإسلامية؛ حتّى يمكن القول: "إنّ الذين جاءوا بعده، من أتباع ملل الوحيّ الثلاث، أكَّدوا موقعه المرموق باعتباره السلطة الأعظم منذ أرسطو، بإطلاق اسم **المعلِم الثاني** عليه"[1].

ولد أبو نصر الفارابي في 870م في بلدة فاراب، في تركيا، و: "ترعرع ودرس في تلك البلدة قبل ذهابه إلى بغداد؛ لمتابعة تحصيله العلمي، ثم سافر، بعدها، متجولًا في أرجاء الإمبراطورية البيزنطية، لاستكمال أبحاثه في إحدى مؤسسات تعليم اللغة العربية، وهي مؤسسات قريبة من الحدود، وقفل عائدًا إلى بغداد، حيث درّس؛ حتى اضطرته شروط العاصمة العباسية لمغادرتها إلى سوريا؛ وفيما بعد إلى مصر، ثم قفل عائدًا منها إلى سوريا؛ ليستقر فيها حتى وفاته في عام 950 م"[2]، وقد أقبل الفارابي على دراسة الفلسفة الإغريقية، وأسهم بدور كبير في شرحها والتعليق عليها، بل والإضافة لها أيضا، و: "كتابه صغير الحجم: **الجمع بين رأيي الحكيميين أفلاطون وأرسطو**، محاولة هامة لتصحيح عدد من الآراء التي اشتهرت عن الفيلسوفين الإغريقيين نتيجة سوء الفهم لبعض نصوصهما، أما **إحصاء العلوم** الذي ترجم عدة مرات إلى اللغة اللاتينية، وكذلك إلى العبرية خلال القرن الثالث عشر الميلادي، فهو أول محاولة منهجية في مجال تصنيف العلوم عن المسلمين"[3]، وعُرف عن الفارابي أنه لم يكن فقط من أنصار **الثقافة الأجنبية** التي شاعت بين المسلمين حينئذ وتمثلت فيما ترجم إلى اللغة العربية من الفلسفة الإغريقية، وتفسيراتها من الأفلاطونية المحدثة، بل: "إنه كان من أكبر دعاتها، والمساهمين في نقلها، وشرحها، وتبسيطها، ويزيد عليهم، وهو أول من صاغ الفلسفة الإسلامية في ثوبها الكامل، ووضع لها أصولها ومبادئها"[4]، وامتاز أيضًا باهتماهه الواضح بالمسألة السياسية.

وكان من بين أساتذة الفارابي في آسيا الوسطى وفي بغداد علماء مسيحيون، يعيدون أصل تعاليمهم الفلسفية إلى مدرسة الإسكندرية، تلك المدرسة الفلسفية الوثنية الأفلاطونية التي كانت قد تنصّرت في نهاية الحقبة الرومانية، إذ: "إنّ آخر أعضائها

---

[1]- محسن مهدي، الفارابي وتأسيس الفلسفة الإسلامية السياسية، وترجمه إلى العربية د. وداد الحاج حسن، (بيروت: دار الفارابي للنشر والتوزيع 2009م)، ص 4.

[2]- نفس المرجع السابق. ص 3.

[3]- حامد طاهر، **المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابي (دراسة مقارنة)** (القاهرة: دار النشر غير معروفة، 1986م) ص. ص 10، 11.

[4]- نفس المرجع السابق، ص. ص 77، 78.

كانوا قد انتقلوا إلى أنطاكيا وحرّان وبغداد وآسيا الوسطى، وبالنظر إلى الوظائف التي كانوا يشغلونها وإلى الكتابات اللاهوتية التي بقيت، يتبيّن أن هؤلاء الأساتذة كانوا من المسيحيين النسطوريين؛ ممن ورثوا تعاليمهم عن الأفلاطونية المحدثة المسيحية؛ التي نقلها أحد آخر ممثّلي هذه الفلسفة إلى مدرسة الإسكندرية"[1]، وبفضل أساتذته النسطوريين وكتابات المفسّرين الكبار الأفلاطونيين المحدثين من مدرستَي أثينا والإسكندرية، أصبح الفارابي ضالعاً كفاية في التراث الفلسفي للأفلاطونية المحدثة والتراث اللاهوتيّ المسيحيّ الأفلاطونيّ المحدث، ولم يكن مفاجئًا، إذن، أن يتبنى هذين التراثين، وأن يطوّر علم الكلام إسلاميًّا أفلاطونيًّا محدثًا، إلّا أنه لم يحدث شيء من هذا القبيل، وما يثير العجب، في هذا السياق هو: "رفضه للمعتقدات الرئيسية للتراث الوثني، ولتراث الأفلاطونية المحدثة المسيحي على حدٍّ سواء، وعودته إلى تراث فلسفيّ سابق على الأفلاطونية المحدثة، كان قد اكتشفه في أعمال أفلاطون وأرسطو وفي أعمال معلقين، أكثر قدمًا، سابقين على الأفلاطونيين المحدثين، وبصورة أدقّ أفلاطونيو العصر الوسيط، "إن تقدير الفارابي للاستخدام الهام والممكن للمراحل وللمستويات المختلفة للفلسفة المدنية الأفلاطونية هو موضوع لا يزال بحاجة لأن يدرس، والميزات الظاهرة لهذا التقدير تتمثل في استعادة الفلسفة المدنية الأفلاطونية"[2]، والاستفادة من بعض عناصرها المتحدِّرة من التراث الفلسفي اللاحق للأفلاطونية، وبصورة رئيسة من الأرسطية والأفلاطونية الوسيطة.

الفارابي وأفلاطون والكتابة المستترة

تعدّ الصلة بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة الإغريقية صلة قديمة منذ اللحظة التي بدأ المسلمون يشعرون فيها بقدر من الاستقرار الحضاري، و: "خاصة بعد زوال الدولة الأموية (40 – 132 هـ) الذي ارتبط تاريخيًّا بحركات الفتوحات الإسلامية، أسرعوا بفتح صدورهم وعقولهم لمعظم ما كان موجودا في الحضارات الأخرى من علم ومعرفة، وكانت الفلسفة أهم ما أخذوه عن الإغريق"[3]، ويعد الفارابي أحد أهم الفلاسفة المسلمين في عصره، "الذين عكفوا على دراسة الفلسفة الإغريقية وبناء فكر فلسفيّ يقوم على الدمج بينها وبين الفكر الإسلاميّ، كما ذُكر آنفًا، ولم يبيّن الفارابي، فقط، أن فلسفة أفلاطون وأرسطو تناسب دراسة ملل الوحي، بل إنه يؤكّد أن العلم المدنيّ (علم السياسة)، أو الفلسفة المدنية، هو العلم الفلسفي؛ الذي ينبغي أن تتمّ في نطاقه مثل تلك الدراسة، وهكذا، فإن أهمية الفارابي في تاريخ الفلسفة تقوم على أنه أول فيلسوف طوَّر

---

[1]- محسن المهدي، **الفارابي وتأسيسي الفلسفة الإسلامية**، ص3

[2]- نفس المرجع السابق، ص3.

[3]- حامد طاهر، **المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابي (دراسة مقارنة)** ص7.

فلسفة للملّة تعتمد في أساسها على التراث الفلسفي الأفلاطونيّ والأرسطيّ بشكل عام، وعلى الفلسفة المدنية الأفلاطونية بصورة خاصة، عارضًا إياهما في سياق مماثل لسياق الجمهورية والطيماوس والنواميس لأفلاطون"[1]، في الوقت الذي استخدم فيه التراث الفلسفي اليوناني الذي سبق الابتداعات المذهبية التي أدخلتها الأفلاطونية المحدثة.

ومن أهم الأفكار التي تلتقي فيها الفلسفة الإسلامية بالفلسفة الإغريقية فكرة المدينة الفاضلة، التي كتب عنها كل من أفلاطون والفارابي، وعلى الرغم من أن الفاصل الزمني بين الفيلسوفين ثلاثة عشر قرنًا، وأنّ الفيلسوف الأول إغريقي، والثاني مسلم، فإن تأثر الفارابي بأفلاطون مؤكد، فقد: عرَّف الفارابي وشرح أو لخص أجزاءً كثيرةً من فلسفة أفلاطون، لخص مثلًا كتابه **النواميس** كما برهن على معرفة واعية بمذهب الفيلسوف الإغريقي، وذلك في كتابه القيم **الجمع بين رأيي الحكيمين** أما بالنسبة إلى فكر أفلاطون السياسي، فإن الفارابي يقول: "أفلاطون هو الذي دوّن السياسة وهذبها، وبين السير العادلة والعشرة الإنسية المدنية، وأبان عن فضائلها، وأظهر الفساد العارض لأفعال من هجر العشرة المدنية، وترك التعاون فيها"[2] ومن عوامل التشابه أيضًا بين الفيلسوفين أن كليهما لديه نزعة مثالية واضحة، دفعته إلى أن يتجاوز واقعه السئ إلى ما ينبغي أن يكون، وأخيرًا فـ: "إنّ **وحدة المجال**؛ التي تجمعهما تتمثل في أنهما قد اتجها إلى معالجة الفكر السياسيّ في إطار فلسفيّ، وعلى نحو يوتوبيّ"[3]، كما أنهما اتبعا منهجًا عامًا يكاد يكون واحدًا، وتوصّلا بالتالي إلى نتائج شبه متقاربة.

ثم تأتي الكتابة المستترة كأحد أهم عوامل التشابه بين كل من الفارابي وأفلاطون والتي انتهجاها في حديثهما عن المدينة الفاضلة، وفي هذا الصدد يمكن القول إن النظام المتخيّل، لدى أفلاطون، لم يقصد به أن يكون منفصلًا تمامًا عن الواقع، كما أنّه لم يستبعد في الوقت نفسه تحقيق هذا التصور في الواقع، وهذا ما يظهر بوضوح في الصفحة رقم 227 من الجمهورية، إذ يقول أفلاطون على لسان سقراط: "وخطتنا – على الرغم من اعترافنا بصعوبتها – ليست مستحيلة التحقيق"[4]، فهناك "صلة وثيقة بين التصور الخيالي والنسق العقلي في جمهورية أفلاطون، حيث استطاع أن يبدو من حيث الظاهر متخيلًا، وحالمًا ومحلقًا"[5]، لكن القراءة الفاحصة تثبت أنه يتخيل عن طريق

---

[1]- محسن مهدي، **الفارابي وتأسيس الفلسفة الإسلامية**، ص3.

[2]- حامد طاهر، **المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابي (دراسة مقارنة)** ص. ص. 13، 14.

[3]- نفس المرجع السابق، ص. 14.

[4]- نفس المرجع السابق ، ص. 23.

[5]- نفس المرجع السابق ، ص. 23.

قضـــايا منطقية أو عقلية، ينبني بعضـــها على بعض، وتســـتخلص النتائج فيها من المقدمات، ويقوم العقل الواعي والمنظم فيها بدور أساسي لا يمكن إنكاره.

وكان اسـتعمال كلٍّ من أفلاطون والفارابي للكتابة المسـتترة ردَّ فعل للأزمات؛ التي عاصرها أفلاطون وعايشها، ويقول فؤاد زكريا في دراسته لـ جمهورية أفلاطون: "في اعتقادي أنّه من الأمور المشـــكوك فيها إلى حدّ بعيد أن يكون هناك مفكر لم يعش في عصـر أزمة، أو على الأقل لم يشـعر بأن عصـره متأزم إلى حدّ يفوق سـائر العصـور السـابقة عليه[1]، ولعل نفور الفارابي من الواقع السـياسـي المعيش هو من أكثر العناصـر ترابطًـا مع تلك التي مر بهـا أفلاطون، وممـا يعرف عن الفـاربي هو النفور من الواقع السـياسـي في عصـره، وعدم رضـاه عن كثير مما يحدث فيه، ولهذا "يعتبر البعض أن عزلة الفيلسوف كانت هي الخطوة الأولى في مواجهة الواقع السياسي السئ، أما الخطوة الثانية فقد تمثلت في التحليق فوق هذا الواقع، وتصور نموذج مثالي لدولة فاضلة، يعتقد أبناؤها اعتقادات صـــحيحة في الله، وفي الكون، وفي الإنســـان"[2]، ويعد كتاب الفارابي **آراء أهل المدينة الفاضلة**، وهو من الوثائق النادرة في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي، لأنه هو الوحيد الذي تناول تصـور دول مثالية، أو فاضـلة، على غرار ما فعل أفلاطون في الجمهورية"[3]، لكنّ الفارابي حاول أن يقيم بناء هذه الدولة على أسـاس آرائه وفلسفته في الميتافيزيقا والأخلاق.

في كتابـه الشـــهير **آراء أهل المدينة الفاضـــلة** يتحدث الفارابي عن دعائم النظام السـياسـي الأفضـل، ويسـهب في الحديث عن رئيس هذا النظام، فيتحدث تفصـيليًّا عن خصـال رئيس المدينة الفاضلة ويصفه بأنه: "الرئيس الذي لا يرؤسه إنسان آخر أصلًا وهو الإمـام وهو الرئيس الأول للمدينـة الفضـــلى"[4]، وهو الرئيس الـذي اجتمعت فيـه بالطبع اثنتا عشـرة خصـلة قد فطر عليها، "أحدها أن يكون تام الأعضـاء ثم جيد الفهم والتصـور، جيد الحفظ، جيد الفطنة، ذكيًّا، حسـن العبارة محبًّا للتعليم والاسـتفادة، ثم أن يكون غير شـره على المأكول والمشـروب والمنكوح متجنبًا - بالطبع - للعب مبغضًـا للذات الكائنة، ثم أن يكون محبًّا للصـدق وأهله مبغضًـا للكذب وأهله، ثم أن يكون كبير النفس محبًّا للكرامة، محبًا للعدل وأهله ومبغضًـــا للجور والظلم وأهلهما، ثم أن يكون

---

[1]- **جمهورية أفلاطون**، ترجمة ودراسة فؤاد زكريا، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974)، ص. 6.

[2]- حامد طاهر، **المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابي (دراسة مقارنة)**، ص. 79.

[3]- نفس المرجع السابق، ص. 80.

[4]- أبي نصر الفارابي، **آراء أهل المدينة الفاضلة**، (القاهرة، مطبعة النيل بمصر، غير معروف) ص. 86.

عادلا غير صعب القياد ولا جموحًا ولا لجوجًا، ثم أن يكون قوي العزيمة على الشئ الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل جسورًا عليه مقدامًا غير خائف ولا ضعيف النفس"[1]، وتتجلى هنا النزعة المثالية عند الفارابي والتي تتجه إلى وضع نظم معياري لما ينبغي أن يكون، ولاشكّ أن تلك النزعة تحتوي ضمنا على قدر كبير من التمرد على الواقع، ومحاولة استشراف المستقبل عن طريق رسم صورة متخيلة لأفضل نظام سياسي ممكن، ولهذا ركز كل من الفيلسوفين، الفارابي وأفلاطون، على وضع وصف دقيق لكيفية هذا النظام ووظيفته الخطيرة أو مهنته الملكية، فوضع له أفلاطون منهجًا دقيقًا يبدأ تطبيقه من سن السابعة حتى سن الخمسين، واشترط الفارابي أن تتوافر فيه مجموعة أساسية من الصفات التي تصل إلى اثني عشر شرطا، على ما ذُكر، ومن الواجب أن يكون فيلسوفًا، و"الطريق إلى ذلك عند أفلاطون يتمثل في الدراسة النظرية، والتجربة العملية، أما عند الفارابي فلا بد أن يضاف لهذين الجانبين عنصر الإلهام، وهو نوع من الوحي الذي يحدس بالحلول الصحيحة لمختلف المشكلات التي تعرض للحاكم، لا يمكن فصل السياسة عن الأخلاق، فالفضيلة مقوم أساسي لبناء الدولة النموذجية"[2] وينبغي أن يلقّنها الحاكم لشعبه نموذجًا وتعاليم، وهنا تبرز أهمية التعليم والتربية المرتبطين أشد الارتباط بالنظام السياسيّ نفسه.

سرية شتراوس بين أفلاطون والفارابي

اهتمّ ليو شتراوس بالفلسفة الإسلامية، لاسيما فلسفة الفارابيّ وعلاقتها بالفلسفة الإغريقية القديمة، وقد بدأ اهتمام شتراوس بالفلسفة الإسلامية منذ ثلاثينات القرن العشرين وتحديدًا: "حينما كان في برلين في بداية 1930م، حيث ساعد شتراوس بول كراوس Paul Kraus العالم اللغويّ والدارس للفلسفة الإسلامية في ترجمة ملخص قوانين أفلاطون للفارابي Farabi's Summary of Plato's Laws (تلخيص نواميس أفلاطون)، وهي أخطوطة أصلية للفلسفة الاسلامية في العصور الوسطى"[3]، وتكمن أهمية هذا التلخيص بتأكيد أفلاطون للإخفاء فلسفته الحقيقية وراء الأحجيات والاستعارات والحكايات الرمزية، تبعًا للفارابي، واعتقد أفلاطون أنّ الفلسفة لو وصلت للأيدي الخطأ يتم استخدامها على نحوغير ملائم.

---

[1]- أبي نصر الفارابي، **آراء أهل المدينة الفاضلة**، ص.ص. 87 – 88.

[2]- حامد طاهر،**المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابي (دراسة مقارنة)**، ص. 115.

[3]- Danial Townsend, **Leo Strauss and Islam**, p.p. 34, 35.

وفي اهتمامه بالفلسفة الإسلامية وتأثره بروادها وخاصة الفارابي، "يصفه بعض الكتاب بأنّه أول مفكر يدرك أهمية ثلاثية الفارابي - أفلاطون - أرسطو"[1] ويذهب **دانيال تاونسند** في مؤلفه **ليو شتراوس والإسلام** إلى أن تأثير الفلسفة الإسلامية للعصور الوسطى – وعلى وجه التحديد أعمال الفارابي- "تتجلى على شتراوس في كتابه **التاريخ والفلسفة السياسية** (1963م) في فصل أفلاطون وفي الإنسان والمدينة (م1964)[2]، ذلك التأثير الذي جعله يصفته مفكرًا يهتم بدرجة كبيرة بالكتابة المستترة ويتضح هذا في: "تعليقاته على فلسفة العصور الوسطى وتواصلها مع فلسفة أفلاطون"[3]، وعلى خلاف ما رآه **دانيال تاونسيند** من أهمية تأثر شتراوس بفكر أفلاطون والفارابي، يذهب عدد من الكتاب إلى أن: "استعادة رؤى سقراط وأفلاطون وأرسطو التي انتهجها شتراوس لا تشكل لغة مناسبة للفكر السياسي في عالم مختلف (العالم المعاصر)، كما أن استعادة نموذج حكم الفيلسوف (في نموذجي أفلاطون والفارابي) ليست أكثر من تمنيات عاجلة لا تفتأ تكرر التقسيم التقليدي للسياسة إلى فلاسفة وسادة سياسيين وعوام، وهو هنا يستخدم بدلًا من العمال عند أفلاطون تعبيرًا محدثاً وهو "الرعاع (Bugaboos).

والتقسيم التقليديّ - المذكور آنفًا – "أخذ بالاعتبار الشتراوسي ارتسام درب فلاسفته المفضلين[4]، وبغض النظر عما يذهب له مثل هؤلاء الكتاب من تهميش قيمة بعض المصطلحات؛ التي تناولها شتراوس متأثرًا بالفلسفة الكلاسيكية، فإن العبرة هنا بالتأثر في حدّ ذاته، وليس في مدى ملائمته أو عدم ملائمته للحقبة المعاصرة، والتأثر هنا يتمثل أنه في تقسيم الناس إلى فلاسفة (سادة) وعوام، فإن الخطاب والحديث سيختلف من هؤلاء إلى هؤلاء؛ بما يستلزم طرق مختلفة للكتابة، كما اتضح وسيتضح لاحقًا.

يشير عماد شعيبي إلى مثال آخر يأخذه شتراوس من الفارابي، الذي عده شتراوس من الفلاسفة الذين يتحدثون للفئة القليلة، فيوضّح كيف أنّ المرء، قد يقول الحقيقة بكلمات معينة تكون غايتها الخداع فقط، وفي مختصر شاديا دروري لهذه الرواية (المنقولة عن الفارابي) تقول: "الناسك التقي معروف في المدينة باستقامته وحشمته وورعه، ومعروف أيضًا بتقشفه وتواضعه وكبح الشهوات، لكنه لسبب ما أثار عداوة حاكم المدينة له فأمر باعتقاله، واتخذ الإجراءات الكفيلة بعدم فراره من المدينة، واستنفر الحراس جميعهم على أبواب المدينة، وعلى الرغم من ذلك كله استطاع هذا الناسك أن

---

[1]- محسن مهدي، **الفارابي وتأسيس الفلسفة الإسلامية السياسية**، ص. 2.

[2]- Danial Townsend, **Leo Straus and Islam**, p. 37.

[3]- Ibid, p. 38.

[4]- عماد فوزي شعيبي، **ليو شتراوس وتأسيس الفلسفة الباطنية**، ص 484،

يهرب من المدينة، فقد ارتدى ملابس السكّيرين وسار مغنيًّا، وهو يضرب على الصنج، واقترب من أبواب المدينة، ولما سأله الحراس: من هو؟ أجاب أنه الناسك المتعبد؛ الذي يبحث عنه كلُّ من في المدينة، لم يصدق الحراس قوله، فسمحوا له بالخروج"[1]، ويعدّ هذا مثال يضربه شتراوس كدلالة على أهمية التورية حتى، وإنْ كانت صدقًا، وبالمثل كان يفعل الفلاسفة لمواجهة الاضطهاد؛ فقد ابتدعوا تقنيات في الكتابة تمكنهم من قول ما يريدون لمن يريدون دون أن يقعوا تحت طائلة العوام وسلطتهم القمعية"[2]، وقد درس شتراوس كتب الفلاسفة المسلمين، ووجد نماذج من تأثير الاضطهاد عند الفلاسفة مثل الفارابي الذي يقول عنه شتراوس إنه كان يشرح آراء أفلاطون لكنه ما يلبث أن ينسب له أفكارًا هي في الواقع أفكاره هو أي الفارابي وليس لأفلاطون"[3]، تلك الأفكار كانت مما لم يكن الفارابي قادرًا على قوله مباشرة ونسبتها لنفسه.

ويتضح هنا العديد من السمات المتشابهة بين قراءة أفلاطون؛ التي يعزوها شتراوس للفارابي، وبين قراءته هو نفسه لأفلاطون، وأهم سمة التشابه الواضح كونهما كاتبين سريين، وكمثل قراءته لأفلاطون، كتب شتراوس أن فلسفة الفارابي الحقيقية، أو تعليمه السريّ، يتواصل عبر مدى من الأدوات والتقنيات البحتة، وتشمل تلك التقنيات الصمت ذا المعنى، التناقضات، وضع الأفكار الهامة في وسط المنشور أو النصوص، التكرار، أن يظهر نفسه كمعلق، وفقط التلميح لـــ، أو الإشارة إلى، أو التضمين لـــ أفكار معينة"[4] من السهل أن تستشفّ تشابهًا مغلقًا بين التأويلات التي طبقها شتراوس على أفلاطون وبين تلك التي استخدمت في تأويله على الفارابي.

---

[1]- عماد شعيبي، **ليو شتراوس وتأسيس الفلسفة الباطنية** ، ص. 489. وانظر أيضًا: طوني بابرت، **انغلاق العقل الأمريكي ومملكة "شتراوس" السرية**، جريدة الوسط البحرينية،ع: 21 أغسطس 2003 م: http://www.alwasatnews.com/349/news/read/342782/1.html، اطلاع في 19 يوليو 2015م.

[2]- سعد البازعي، **ليو شترواس والكتابة بين الأسطر، ماذا يفعل المفكر في مواجهة الاضطهاد؟**
نشر في الحياة يوم 7 سبتمبر 2010، في:
http://www.sauress.com/alhayat/180432

[3]- سعد البازعي، **ليو شترواس والكتابة بين الأسطر.. ماذا يفعل المفكر في مواجهة الاضطهاد،...**

[4]- Danial Townside, **Leo Strauss and Islam**, p. 188.

في كتابه: **الاضطهاد وفن الكتابة**، يعرض شتراوس كيف أنّ الفارابي أشار صراحة إلى أهمية التمييز بين نوعين من الكتابة تبعًا لما يشير إليه الفارابي، وفيما يتعلق بأمر الفلاسفة الحقّ، تؤكّد صحته عددًا من الملاحظات صوب التمييز الفلسفيّ بين التدريس المعلن exoteric والتدريس الباطني / السريّ esoteric، التي تحققت في كتابات تابعيه، و"مؤلف الفارابي عن أفلاطون يخبرنا عن السبب - شديد الوضوح والأكثر قسوة - حول لماذا هناك حاجة إلى هذا التمييز القديم والمهجور، فالفلسفة والفلاسفة كانا في خطر داقع، ولم يعترف المجتمع بالفلسفة أو بحق التفلسف، ولم يكن هناك أي تآلف بين الفلسفة والمجتمع"[1]، ولكن لماذا الطريقة المعلنة exoteric؟ يجيب شتراوس في كتابه **الاضطهاد وفن الكتابة**، "وذلك من خلال عرضه لآراء الفارابي لوجهات نظر أفلاطون في عصره: لقد كان التدريس المعلن مطلوبًا لحماية الفلسفة، فهو الدرع الذي كان على الفلسفة أن تظهر داخله، وقد كان ذلك مطلوبًا لأسباب سياسية"[2]، فقد كان ذلك هو الشكل الذي يمكن أن تصبح الفلسفة مرئية من خلاله للمجتمع السياسي، وقد كان ذلك هو الجانب السياسي من الفلسفة.

ينسب شتراوس إلى الفارابي سبقه في إيجاد وتطوير مناهج دقيقة، فحتّي الظروف الصعبة للكتابة؛ التي يسود فيها الاضطهاد يمكن تطويرها لصالح الفلسفة والفلاسفة، فيقول: إنّه في ظل بعض الظروف لم يكن الوضع الهش للفلسفة في المجتمع ضارًّا بالفلسفة، أي يتمثل الأمر في أن الاضطهاد يمكن توظيفه، لقد ساعد الاضطهاد الفلاسفة في تطوير مناهج دقيقة للكتابة والاتصال للتهرّب من أن يكتشفها المراقبون، وعلى الكتاب الذين يعيشون في أوقات الاضطهاد أن يكونوا أكثر حرصًا من هؤلاء الذين يعيشون في أوقات حرة وليبرالية، ولقد كان هذا أكثر صدقًا مع كتاب مثل الفارابي Alfarabi وموسى بن ميمون (مايمونيديس) Maimonides اللذين أضفا على الكتابة المستترة esotericism شكلها الأكثر ثراءً فلسفيًّا، وبالمثل وعلى نحو هام، لقد ضمن الاضطهاد السمة الخاصة للفلسفة من تدخلات وإشراكات السلطة السياسية، وليس بسبب أن الفلسفة تفسد المجتمع، فالمجتمع - على الأقل - عدوّ التميز والصفوة، وهو يفسد – بالضرورة - الفلسفة.

إنّ شتراوس يعد الطريقة المستترة للكتابة ليست فقط حماية للفلاسفة، بل إنّها أيضًا حماية للفلسفة نفسها، من حيث أن كشف الفلاسفة لارائهم دون قناع؛ وحتى في المجتمعات الحرة الديمقراطية؛ التي من المتوقع أن لا يحدث لهم ضرر فيها، سيعطي

---

[1]- Leo Straus, **Persecution and the art of writing**, p. 17.

[2]- Leo Strauss, Persecution and the art of writing, p. 19

فرصة لذوي السلطة التدخّل في الفلسفة، وستفقد الفلسفة الحماية أو الدرع الواقي لها من الغوغائية.

فلسفة الكذب الأبيض والسياسة الخارجية الأمريكية، التأثير والتأثر

فلسفة الكذب الأبيض

من الواضح أن شتراوس طبق طريقة الكتابة المستترة على نفسه و: "أوصى تابعيه بما يسمى بـــ: القراءة الواعية"[1] لقد علّم تلاميذه كيف يقرأون و: "كيف يتمنى الكتاب الحريصـــين، مثله، أن تتم قراءة أعمالهم"[2]، ويطرح ذلك تســـاولًا عما إذا كانت الكتابة بين الســـطور، التي علّمها لتلاميذه، ويريد هو أيضـــا قارئ أعماله أن يتبعها توحي بشـرعية **الكذب**؛ أي أن يعلن الفيلسـوف أمرًا، ثم يضـمر أمرًا آخر بين السـطور أو أن يتحدث بلسان شخصية أخرى؛ فلا يفصح مباشرة عن آرائه.

وفي هذا الصدد تذهب أستاذة الفلسفة السياسية الكندية **شاديا دروري** في ردّها على سؤال المحاور **داني بوستيل،** حول مدى وجاهة تأويل شتراوس لمقولة الكذب الأبيض عند أفلاطون؟ فأجابت: "نادرًا ما تحدث شتراوس باسمه، لقد كتب بصفته معلقًا على النصوص الكلاسيكية للنظرية السياسية، وكان معلّقًا عنيدًا ومجادلًا فذًّا، موضّحًا الفرق الأساسيّ، الذي يسود ويشكل كل أعماله؛ فيما بين القدامى والمحدثين، لقد قسم شتراوس تاريخ الفكر السياسي إلى معسكرين: الحكماء والماكرون القدامي (مثل أفلاطون)، بينما المحدثين (مثل لوك وغيره من الليبراليين) هم الحمقى والمبتذلين"[3] والآن بدا لشـــاديا وبكل وضوح أنه من العدل والمعقولية أن ننسب إلى شتراوس كل الأفكار التي نسبها هو إلى القدامى المفضّلين لديه.

ويفسر عدد من الباحثين تأثر شتراوس بـــ "نيتشه" بأنه يرجح كيف أن شتراوس جعل الكذب مشروعًا تحت ما يسمى **الأكاذيب النبيلة،** فيذهب عماد فوزي شعيبي في بحثه: **ليو شتراوس وتأسيس الفلسفة الباطنية** إلى أنّه- وفق شتراوس - فإنّ الرجل الذكي، الفيلســـوف هو ذلك الرجل الذي يندر مثيله بين الرجال، ويســـتطيع أن يواجه

---

[1]- Steven Smith**, why Strauss, why now?**

[2]- Steven B. Smith, **Reading Leo Strauss.** p. 165.

[3]- Shadia Durury, Nobel lies and perpetual war: Leo Strauss, the neo-cons, and Iraq, in an interview by Danny Postel (on) Open Democracy, October 18, 2003. (on):
http://www.informationclearinghouse.info/article5010.htm.

الحقيقة، هذه الحقيقة هي أن الله غير موجود، وأن الكون لا يهتم البتة بالبشـر أو الجنس البشـري، أو أن تـاريخ البشـرية كلـه ليس أكثر من مجرد نقطـة تـافهة في هذا الكون الواسـع، التي ما أن تبدأ بالظهور؛ حتى تتلاشـى أبدًا دون أن تترك أثرًا، وأنّه لا توجد أخلاق، ولا يوجد خير وشـر، وبالطبع لا يوجد شـيء اسـمه الحياة الآخرة؛ فهذه مجرد قصـة من قصـص العجائز، فالغالبية العظمى من الرجال والنسـاء، من جهة أخرى، بعيدون كل البعد عن كونهم يملكون القدرة على مواجهـة الحقيقـة، فهذه القدرة تخصّ جنساً آخر غير الجنس البشريّ، وهذه الغالبية هي التي يسميها نيتشة **القطيع**، ويدعوهم أيضًا **العبيد**؛ فهؤلاء بحاجة إلى رجال مخيفين لديهم إله مهدِدٌ بالعقاب، ولديهم عقاب في الآخرة وقصص خيالية عن أخلاقيات الصواب والخطأ، ومن دون هذه الأوهام يصاب الناس بالجنون وتعم فيهم حوادث الشغب وينهار النظام الاجتماعي، أي نظام اجتماعي.

ولما كانت الطبيعة البشرية لا تتغير كما يقول شتراوس، فهذا الوضع سوف يستمر على حاله، والرجال المتفوقون/ الفلاسـفة هم الذين يقدّمون للقطيع كل ما يحتاج إليه من معتقدات دينية وأخلاقية وغيرها، على الرغم من أنهم يعرفون في قرارة أنفسهم أن هذه المعتقدات كلها أكاذيب، يقول نيتشـة: "إنّ هؤلاء الرجال المتفوقين **كهنة ملحدون**، أما شـتراوس، فيدّعي أن أكاذيبهم هي **أكاذيب نبيلة** وبالطبع فهم لا يفعلون ذلك حبًّا بالخير، ذلك أن نيتشـة وشـتراوس يهزؤون بالمحبة وحب الخير للجميع، ويصـفون هذه الأفعال بأنها غير جديرة بالآلهة أو بالرجال أشباه الآلهة"[1]، بل إن هؤلاء **الفلاسـفة** يستخدمون هذه الأكاذيب؛ ليصنعوا المجتمع وفق مصالح هؤلاء الفلاسفة أنفسهم.

وحتّى يتحقّق ذلك للفلاسـفة، فعليهم أن يتحرّكوا بحيطة وحذر، وهنا تضـيف **شـاديا دروري** بأنّه - وفقا لشتراوس- "يجب على القلة من الحكماء أن يتحركوا بحيطة وحذر، وهكذا وصـلوا إلى نتيجـة مؤداها أن لديهم تبريرًا أخلاقيًّا؛ كي يكذبوا من أجل تفادي الاضـطهاد، لقد وصـل شـتراوس إلى قول ما هو أبعد من ذلك بأن التضـليل والخداع- أو بالأحرى ثقافة الكذب- هي العدالة المميزة للحكماء.

لقد برر شتراوس موقفه باسترجاع مصطلح أفلاطون حول الكذب الأبيض noble lie، ولكن في الحقيقة، لم يكن تصـور شـتراوس عن مصطلح الكذب الأبيض لأفلاطون ثريًّا، لقد اعتقد أفلاطون بأن الكذب الأبيض هو قصـة تفاصـيلها مختلقة، ولكن في قلبها تتواجد الحقيقة العميقة.

في أسطورة المعادن metals - على سبيل المثال – أنّه لبعض الناس أرواح ذهبية، بمعنى أنّهم أكثر من قـادرين على مقاومة إغراءات السـلطة، وهؤلاء النماذج ذو الثقة

---

[1]- عماد فوزي شعيبي، **ليو شتراوس وتأسيس الفلسفة الباطنية** ، ص. ص. 496، 497.

أخلاقيًّا هم الأشـــخاص؛ الذين يناســـبون أكثر من غيرهم أن يكونوا في الحكم، وتمتلئ أسطورة المعادن بالتفاصيل والاختلاقات، بيد أن أخلاقية القصة تكمن في أنّه ليست كلّ الكائنات البشريّة متساوية أخلاقيًّا.

في تناقض مع هذه القراءة لأفلاطون، يعتقد شتراوس أنّ علوّ وسموّ superiority الفلاســـفة الرواد هو ســـموّ فكريّ وليس أخلاقيًّا، فمن وجهة نظر العديد من المعلقين (الشـــارحين) (مثل كارل بوبر Karl Popper) الذين رآوا أفلاطون شـــموليًّا، تتمثل النتيجة المنطقية في الشك بأن الفلاسفة يمكن الثقة فيهم، عندما يحصلون على السلطة السياسية، إن هؤلاء الذين قرأوا له بهذه الطريقة يرفضونه بإصرار، ويعدّ شتراوس المفسر الوحيد الذي أوجد قراءة (شريرة) لأفلاطون، ثم احتفى به"[1]، ولعلّ من دافع عن شتراوس، دافع عنه مع تأكيده أنّ شتراوس دافع عما يسمى بـــ **الكذب الأبيض**، فنجد سيتفن سميث يناقض نفسه، ففي الوقت الذي يدافع فيه عن شتراوس، ويرفض أسهم الاتهام بأن شـــتراوس أباح **الكذب الأبيض** وأن يعلن الفيلســـوف في كتاباته خلاف ما يضمر حقًّا، نجده نفسه (ستيفن سميث) يقول في موضع آخر: "ربما يكون الجانب الأكثر وضوحا في أسلوب شتراوس في القراءة هو إدعاؤه بأن: "الرأي الحقيقي للمؤلف ليس من الضرورة أن يتماثل مع ذلك الذي يعرض له في عدد كبير من الفقرات"[2] وإن النية الحقيقية للمؤلف يمكن الكشـــف عنها بوضـــوح من خلال ما يترك متواريًّا، أو تمّ التلميح إليه ببراعة بشكل مرجّح عما تم التأكيد عليه بثبات وباستمرار.

تأثير شتراوس على السياسة الأمريكية

تعد شاديا دروري من أكثر مفكرات الغرب ومفكريه فهمًا لفلسفة شتراوس المؤثّرة؛ إذ أكدت دومًا على التأثير الذي أحدثه شتراوس على تلاميذه، والذين أثروا بدورهم على صانعي القرار في الولايات المتحدة الأمريكية، وتستشهد - في هذا الصدد - بما ورد في تأويله لأفلاطون في كتابه الإنســـان والمدينة، وتقول: "في محاورات افلاطون، يفترض كلّ قارئ أن سقراط هو المتحدث بلسان أفلاطون، بيد أن شتراوس يذكر في كتابه المدينة والإنســـان أن ثراســـيماكوس Thrasymachus هو المتحدث الحقيقي بلسان أفلاطون"[3]، إذًا، علينا أن نخمن أن شتراوس يشارك بعد نظر ورؤى أفلاطون

---

[1]- Shadia Durury, **Nobel lies and perpetual war: Leo Strauss, the neo-cons, and Iraq**,

[2]- Steven B. Smith, **why Strauss, Why now?**

[3]- See, Leo Strauss **"City and Man**", pp. 45 – 47, 38 – 48, 97, 100, 101.

الحكيم (المعروف بـاسم ثراسيماكوس) حول أن العدالة هي فقط مصلحة الأقوى، فيقوم هؤلاء الذين في السلطة بوضع القواعد وفق مصالحهم، ويدعونها عدالة، طالما دافع ليو شتراوس عن المذهب السياسيّ لـــ ثراسيماكوس وميكيافيللي وتظهر هذه الرؤية للعالم جليا في الســياســة الخارجية للإدارة الحالية في الولايات المتحدة"[1]، وتســتنتج شــاديا دروري من ذلك وتعلن كيف أنّ شــتراوس وغيره من أمثال كوجيف وكارل ســكيمت، كما يتضح في مراسلات شتراوس مع كوجيف في كتابه عن الطاغية، كيف أنهم جميعا يعتقدون أن الطبيعة البشـرية للإنســان تقوم على اسـتعداده للاندفاع مجردًا وبتهور إلى معركة حتى موته، فقط الحرب الدائمة هي التي تســتطيع قلب المشــروع الحديث، بتأكيدها على حفظ الذات وراحة المخلوقات، ويمكن تسييس الحياة أكثر من ذلك، ويمكن إعادة تشكيل (تجديد) الطبيعة الآدمية للإنسان، وترى أن هذه الرؤية المروعة تتناسب تماما مع الرغبة في الشــرف والعظمة؛ التي يشــتهيها نبلاء المحافظين الجدد، وتتفق أيضًا مع الحسّ الدينيّ لدى النبلاء، وتعتبر تركيبة الدين والقومية هي جهر ما دافع عنه شترواس باعتباره طريقة لتحويل الرجال الطبيعيين المتراخين والشهوانيين إلى قوميين مخلصــين على اســتعداد للحرب والموت من أجل الله والبلد، ثم تقول: "لم أتخيّل أبدًا حينما كتبت أول مؤلفاتي عن شــتراوس أن الصــفوة معدومة الضــمير؛ التي دعمها ستصبح أبدا قريبة من السلطة السياسية، ولا أن طاغية الحكماء المشئوم سيصبح أبدًا قريبًا من أن يتحقّق في الحياة السياسية"[2]

ويتفق مع دروري في الرأي الدكتور عماد فوزي شــعيبي؛ الذي يعرض لجدل دار بين اثنين من تلامذة شتراوس ويسترشد منه كيف أنه لم يكن للأخلاق مكان في فلسفته؛ فيشير إلى أنه من خلال الحوار الذي جرى بين اثنين من أهم الشتراوسيين هما توماس بانجلي (Pangle) ، وهاري جافا (Jaffa) ، ونشــر على حلقات في مجلة كليرمونت ريفيو (Claremont Review) من خريف 1984م، وحتى صيف 1985، وتواصل نشره في مجلة ناشيونال ريفيو (National Review) في 20/11 و1985م/29/11. فقد اشـتمل حديث بانجلي ضـمنيًّا أنّه عند شـتراوس ليس للفضـيلة الأخلاقية دور عند الرجل الذكي حقًّا أو الفيلســوف، فالفضــيلة الأخلاقية ليس لها وجود إلا في الرأي الشعبيّ؛ إذْ يكون هدفها السيطرة على غالبية الناس غير الأذكياء، وفي موضع آخر من هذا النقاش، ذكر بانغل أنه بالنســبة إلى شــتراوس فإن الفلســفة أثبتت بطلان العقيدة

See also, **M.F. Burnyeat, "Sphinx without a Secret**", *New York Review of Books*, 30 May 1985.

See, Leo Strauss, natural right and history, p. 106.

[1]- Shadia Drury, Leo Strauss and Nobel lies.

[2]- Shadia Drury, Nobel lies, …

الدينية[1]، ويضيف: "ولهذا فالفضيلة الأخلاقية قيمة مضافة هدفها السيطرة وهنا لا بد من التورية واعتماد الحقيقة بصفتها قيمة مخفيّة كجزء من الفلسفة الباطنية"[2]

ويقرن جيم لوبي بين تأثر شتراوس بفكر توماس هوبز وميكيافيللي وتأثيره هو نفسه على السياسة الخارجية الأمريكية، لاسيما في إشعال وتيرة هاجس **العدوّ الخارجيّ** وفكرة الحرب الدائمة؛ فيشير إلى أن شتراوس اعتقد - تأثّرًا بهوبز - أن الطبيعة العدوانية المتوارثة للكائنات البشرية؛ يمكن فقط أن تقيد بوساطة دولة قومية قوية، "لأن النوع البشري في جوهره شرير، فيجب أن يُحكَم، وهذا الحكم يمكن أن يؤسس فقط عندما يتحد الرجال، ويمكنهم فعل ذلك فقط عندما يتحدوا ضد الآخرين، وهذا ليس مثيرًا للدهشة، وفقًا لجيم لوبي، فشتراوس حينما توجّه نحو السياسة الخارجية كان وبشكل مميز توجهًا مكيافيلليا"[3]، ويعتقد شتراوس أن النظام السياسي يمكن أن يكون مستقرا فقط إذا ما توحد بتهديد خارجي، واتباعًا لمكيافيللي، "أكد أنه إذا لم يتواجد تهديد خارجي إذا يجب أن يتم تصنيعه، فالحرب الدائمة، وليس السلام الدائم، هو ما يؤمن به الشتراوسيون، وبسهولة ترجمت الفكرة، إلى سياسة خارجية عدوانية مقاتلة، من ذلك النوع الذي كُرس بواسطة مجموعات المحافظين الجدد أمثال الدراسين في PNAC and AEI scholars- ولن نذكر ولفيتز وغيره من صقور الإدارة الذين دعوا إلى نظام عالميّ جديد تسيطر عليه القوّة العسكريّة للولايات المتحدة، و"يرى تلامذة شتراوس من المحافظين الجدد السياسة الخارجية كأداة لإنجاز المصير القومي national destiny كما عرفها إرفينج كريستول بالفعل في 1983م، التي تذهب إلى ما وراء التعريفات الضيقة للأمن القومي القاصر النظر، إنّ الصورة تشمل رؤية المحافظين الجدد لعلاقة الولايات المتحدة مع باقي العالم، وبالمثل علاقاتهم بصفتهم صفوة حاكمة، وكون الجماهير لا يستخدمون بالفعل الليبرالية والديمقراطية"[4]، بل يغزون العالم باسم الليبرالية والديمقراطية وفق ما أورده جيم لوبي.

وتأييدًا لتأثير شتراوس على صانعي القرار في الولايات المتحدة من خلال تلاميذه من المحافظين الجدد، يقول سعد البازغي: "يعد شتراوس أحد كبار فلاسفة العلوم السياسية وتاريخ الفكر السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، وقد تعالى ذكره

---

[1]- عماد فوزي شعيبي، **ليو شتراوس وتأسيس الفلاسفة الباطنية**، ص. 495.

[2]- نفس المرجع السابق، ص. 496.

[3]- Jim Lobe. **Jim Lobe**, Leo Strauss' Philosophy of Deception, Posted on AlterNet website on May 19, 2003. (On) http://www.alternet.org/story/15935

[4]- Jim Lobe,

في التسعينيات مع بزوغ نجم المحافظين الجدد في الولايات المتحدة بوصفه أستاذًا للكثير منهم ومنظرًا للفكر السياسي الذي تبنوه والذي ترك أثره على سياسة الولايات المتحدة في فترة جورج بوش الابن، ويذكر - في هذا السياق - أنّه كان يؤكد دائمًا أن المعرفة وصناعة السياسة هي من اختصاص علية القوم، وأنّ العوام ليس لهم إلّا القيادة فلا يقال لهم إلّا ما يستطيعون فهمه، وإن كان من الضروري تزييف الواقع لقيادتهم فلا بأس"[1]، ويذهب داني بوستيل إلى أن هناك انقسام بين أتباع شتراوس أنفسهم، لاسيما هؤلاء الذين يطلق عليهم **اليمين الأمريكي** بين واقعيين: أصحاب النظرة الواقعية لسياسة الخارجية الأمريكية، على نمط ميكيافيللي وثراسيماخوس - Thrasymachus and Machiavelli، وهم براجماتيون من جهة، ومن جهة أخرى المحافظون الجدد، الذين يرون أنفسهم مثاليين، بل وأخلاقيين في مهمتهم للإطاحة بالطغاة"[2]، ومن ثم في كفاحهم ضد الواقعية المزعومة.

وفي رؤيتها لهذا التناقض بين أتباع شتراوس، ترى الكاتبة شاديا دروري أن المحافظين الجدد - وعلى نحو بعيد - صادقون برغبتهم في نشر النموذج التجاري الأمريكيّ للديمقراطية الليبرالية حول العالم، فهم مقتنعون بأن ذلك هو أفضل الأمور ليس فقط لأمريكا، وإنما للعالم اجمع، وطبيعيًّا، هناك توتر بين المثاليين والواقعيين من أصحاب العقول الصلبة داخل الإدارة، وتقرن بين هذه التوترات والصراعات داخل الإدارة الأمريكية بصفتها انعكاسًا للاختلافات بين التدريس السطحي، الذي يناسب النبلاء، و التدريس الليليّ أو التدريس السريّ، والذي يخص الفلاسفة وحدهم، وتضيف: "ليس من المحتمل لأيديولوجية دعمت بواسطة تدريس سري أن تكون منسجمة تماما"[3]، وتضرب دروري بالقومية الأمريكية مثالًا على ذلك، فالفلاسفة، الراغبين في تأمين الأمة ضد أعدائها الخارجيين، وبالمثل ضد التدهور والتراخي والاستهلاك الداخليّ، يشجعون الحماسة الوطنية بين النبلاء محبّي الشرف والرفعة المسيطرين على

---

[1]- سعد البازعي، **ليو شترواس والكتابة بين الأسطر... ماذا يفعل المفكر في مواجهة الاضطهاد؟**

[2]- Danny Postal**, in his interview with Shadiah Durury, Nobel lies and perpetual war**: Leo Strauss, the neo-cons, and Iraq, (on) Open Democracy, October 18, 2003. (on): http://www.informationclearinghouse.info/article5010.htm

[3]- Shadia Durury, Nobel lies and perpetual war: Leo Strauss, the neo-cons, and Iraq, in an interview by Danny Postel (on) Open Democracy, October 18, 2003. (on): http://www.informationclearinghouse.info/article5010.htm

زمام السلطة، وتتآلف هذه الروح القومية القوية في الاعتقاد بأن أمتهم وقيمها هي الأفضل في العالم، وأن كل الثقافات الأخرى وقيمها هي الأدنى عند المقارنة، وتعطي دروري مثالا بالفيلسوف الأمريكي المحافظ إرفينج كريستول **Irving Kristol**، وهو أب الاتجاه المحافظ وتلميذ شتراوس، فقد شجب القومية في مقال له 1973م، ولكن في مقال آخر 1983م أعلن أن سياسية الخارجية للاتجاه المحافظ الجديد، يجب أن يعكس نزعاتها القومية، وبعد حقبة من الزمن، وفي عام مقال 1993م زعم أن الدين، القومية، والنمو الاقتصادي هم أعمدة الاتجاه المحافظ الجديد ، وتتبع الوطنية من حبّ ماضي الأمة، وتنشأ القومية من الأمل بعظمة رائعة لمستقبل الأمة، ويؤمن المحافظون الجدد بأن أهداف سياسة الخارجية الأمريكية يجب أن تذهب إلى ما وراء التعريف الضيق والحرفي لـ الأمن القومي، وأنّها المصلحة القومية لسلطة العالم، كما يعرفها مصير الحسّ الوطنيّ، وليس الأمن القومي قصير النظر، وتشير إلى أنّ هناك الكثير من رددوا ذلك الرأي من أتباع الشتراوسية المعاصرة مثل هاري جيفا Harry Jaffa، حينما قال أن أمريكا هي كنيسة الله Zion التي ستنير العالم أسره.

من السهل رؤية كيف أن هذا النوع من التفكير يمكن أن ينحرف (يخرج عن المألوف) ولماذا يميل الواقعيون أصحاب الأدمغة الصلبة إلى رؤية ذلك أمرًا ساذجًا إن لم يكن خطرًا.

ولكن قلق شتراوس على الطموحات العالمية لأمريكا مختلف تمامًا، مثل هيدجر، سكميت وكوجيف، كان شترواس مهتمًّا أكثر فيما إذا كانت أمريكا ستنجح في هذا المشروع أكثر أو ستخفق، وفي هذه الحالة سيطفئ "الرجل الأخير" كلّ آمال الإنسانية (نيتشه)؛ وسيصبح "ليل العالم" تحت السيطرة (هيدجر)؛ وسيكتمل انحدار الإنسان إلى مستوى البهائم (كوجيف)؛ ويتم تحويل الحياة إلى شيء جد تافه (سكميت)، هذا ما تعينه بالنسبة لهم الطموحات أمريكا العالميّة.

ويُعدّ كتاب **نهاية التاريخ والإنسان الأخير** لفرانسيس فوكوياما هو تعميم لوجهة النظر هذه؛ إذ إنه يرى الكارثة القادمة للسلطة العالمية لأمريكا شيئًا حتميًّا.

تبعًا لوجهة النظر، تلك الخاطئة للعالم، إذا أخفقت أمريكا في تحقيق مصيرها القومي، وتورطت في حرب دائمة، حينئذ سيكون كلّ ذلك على ما يرام، حالة الإنسانية للإنسان، التي تعرف في مصطلحات الصراع حتى الموت، أُنقذت من التحطّم، ولكن رجال مثل هيدجر، سكميت، كوجيف وشتراوس يتوقعون الأسوأ، فهم يتوقعون أن

الانتشـار العالميّ لروح التجارة سـيليّن أخلاق الرجال"[1]، وهذا التعظيم الفاشـي للموت والعنف ينبع من العجز الشديد عن الاحتفاء بالحياة والابتهاج والمتعة المحضة للوجود.

في الوقت الذي صـوب فيه فلاسـفة وكتاب من أمثال شـاديا دوروري وجيم لوبي الاتهام إلى ليو شـتراوس، بأنه الأب الروحي للمحافظين الجدد الذين كانوا بدورهم صانعي أو ملهمي صانعي القرار في الولايات المتحدة؛ فإنّ أحد تلامذة المقرّبين، وهو المفكر الأمريكي سـتانلي روزن ينفي كل ما سـبق تمامًا، بأن شـتراوس لم يكن أبدا مسـؤولا عن فكر المحافظين الجدد أو الرجعيين، وقد ذكر: "بعيدًا تمامًا عن إعداد رجعيين متطرفين، كما يتمّ اتهامه كثيرًا حاليًّا، لقد جلب إلينا ممر الاعتدال والحكمة العملية"[2]، ولطالما علّم شتراوس – فعلًا - تلاميذه طريقتين للكتابة طريقة مستترة للعامة وطريقة سرية للصفوة، فإنه ليس فعلًا مستبعدًا الآراء التي كان يعرض لها شتراوس على أنها تخصّ الآخرين؛ إذ كانت هي آرائه هو، والأرجح هو ما ذهبت إليه الكاتبة شاديا دوروري.

[1]- Shadia Drury, Nobel lies.

[2]- Stanely Rosen, Leo Strauss in Chicago, Daedalus, Vol. 135, No. 3, On Body in Mind (Summer, 2006), P. 107.